

سمات الجملة الاسمية في سورة نوح

إعداد

د. عبدالعزيز بن عمر عماري

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الملك عبدالعزيز

مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور . المجلد

السادس عشر - العدد الرابع - الجزء الثاني - لسنة 2025

سمات الجملة الاسمية في سورة نوح

د. عبدالعزيز بن عمر عماري

المستخلص

يسعى البحث لرصد سمات الجملة العربية الاسمية في سورة نوح؛ فيها قصة نبي الله نوح -عليه السلام- في دعوته لقومه، ويقف مع ما تميزت به تراكيب الجملة الاسمية سواء كانت جملة كبيرة واسعة أو جزءاً من جملة أكبر منها، كما يسعى إلى تأكيد تفرد الكتاب العزيز بتراكيبه الدقيقة المتناسبة مع المعنى فكل تركيب جاء لدلالة معينة ومعنى محدد ووفق أسلوب عربي مبين، وأن أي قارئ له معرفة بأساليب العربية يتبين مناسبة كل تركيب في القرآن الكريم مع المعنى الذي جاء من أجله، سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى. يتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي من خلال الوقوف على آراء علماء اللغة والتفسير في آيات السورة الكريمة وتحليلها واستخراج سمات الجملة الاسمية فيها، ويرصد البحث الجمل الاسمية في الآيات الكريمة ويقوم على تحليلها من جهة المعنى ومن جهة اللفظ للتعرف على السمات الخاصة بالجمل الاسمية فيها.

الكلمات المفتاحية:

سمات الجملة، سمات التركيب، سورة نوح، الجملة الاسمية، النحو.

Abstract

This study seeks to examine the characteristics of the Arabic nominal sentence as it appears in *Sūrat Nūḥ*, which recounts the story of the Prophet Noah—peace be upon him—and his call to his people. The research highlights the distinctive features of the nominal sentence structures in the *sūrah*, whether they occur as independent sentences or as components of larger syntactic units. A close reading of the Qur’anic text reveals that every structure is employed to convey a specific meaning and fulfill a precise rhetorical function, all articulated through clear and eloquent Arabic expression. Any reader with familiarity in Arabic stylistics can discern the appropriateness of each syntactic construction within the Qur’anic context for which it was revealed, both at the lexical and semantic levels. The study adopts a descriptive and analytical methodology, drawing on the views of linguists and exegetes regarding the verses of the *sūrah*. It analyzes these verses to identify and articulate the key features of their nominal sentences. By systematically surveying the nominal sentences in *Sūrat Nūḥ*, the research provides both semantic and structural analyses to uncover the unique properties of these constructions.

Keywords: sentence features, structural features, *Sūrat Nūḥ*, nominal sentence, syntax.

المقدمة

إن كتاب الله تعالى كلام رب العالمين -جل وعلا- ، أعلى مراتب الكلام العربي المبين، يعلو ولا يعلو عليه، ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: الآية 103، ولا يمكن لأي عربي مهما بلغ لغة وفصاحة أن يبلغ ما بلغ القرآن من المكانة السامية؛ وهذه الرتبة الرفيعة من البيان والفصاحة لا تنبغي إلا لكتاب الله عز وجل، وهو ما يجدر أن يستدعي الباحثين للبحث في أسرارهِ من كل وجه ممكن؛ من جهة ألفاظهِ ودلالاتها أو من جهة التراكيب وجزالتها، أو من جهات أخرى تتعلق بعلوم العربية نحوًا وصرفًا وبلاغةً ولغةً.

إن هذا البحث محاولة لرصد سمات الجملة العربية الاسمية في سورة من سور الكتاب العزيز يحفظها كثير من المسلمين ويقرؤها الصغير والكبير؛ فيها قصة نبي الله نوح -عليه السلام- في دعوته لقومه، ما يعني أن المسلم تتكرر عليه آيات السورة الكريمة وتراكيبها المتنوعة مرات عدة، ويقف مع ما تميزت به تلك التراكيب سواء كانت جملة اسمية أو فعلية أو شبه جملة، ويتضح له من قراءته لهذا الكتاب العزيز أن كل تركيب جاء لدلالة معينة ومعنى محدد ووفق أسلوب عربي مبين، وأن أي قارئ له بمعرفة بأساليب العربية يتبين مناسبة كل تركيب في القرآن الكريم الذي جاء من أجله، سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.

تعد سورة نوح من طوال المفصل، والتي تأتي الفواصل فيها بشكل قريب متتابع، والسورة في لغتها السهلة تتناول دعوة نوح عليه السلام لقومه وما جاء على لسانه عليه السلام من بيان طريقة دعوته وطولها، وتوحيه مع كل ذلك أن يفتح الله على قلوب قومه بالهداية والصلاح، والسورة نظرًا لموضوعها وسهولة ألفاظها يحفظها كثير من المسلمين كما يقرؤها كثيرون، ولذلك جاء اختيارها بناء على تنوع أساليب الكلام فيها ومناسبة طولها للدراسة وحضورها في قلوب كثيرين.

يتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي من خلال الوقوف على آراء علماء اللغة والتفسير في آيات السورة الكريمة وتحليلها لاستخراج سمات الجملة الاسمية فيها، حيث يرصد البحث الجمل الاسمية في الآيات الكريمة ويقوم على تحليلها من جهة المعنى ومن جهة اللفظ للتعرف على السمات الخاصة بالجمل الاسمية فيها.

وقف البحث على عدد من الدراسات السابقة التي لامست موضوع السمات أو الخصائص من جوانب لغوية تركيبية أو بلاغية؛ ومنها: الخصائص اللغوية لرواية حفص للباحث علاء الحمزوي والخصائص اللغوية قبيلة أسد للباحثة وفاء فهمي والخصائص اللغوية في شعر مالك بن المرحل للباحثة رنا الألوسي، وخصائص الجملة الاسمية في النحو العربي للباحثتين شهيناز مناصرية وطاوس لاعيلة، وخصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتتوير للباحث إبراهيم الجعيد، وخصائص نظام الجملة العربية من خلال القرآن الكريم للباحث إبراهيم ميهوبي، والسمات اللغوية في صحيفة أم القرى للباحثة أميرة زبير، وخصائص التعبير القرآني في سورة الإنسان للباحث نعيم البدري، وخصائص الجملة في اللغة العربية للباحثة رشيدة بودالية، و من سمات التركيب في الشعر العربي القديم للباحث رشيد بن قسيمة.

وجملة القول فالبحث يختلف عن البحوث السابقة في الوقوف على سمات الجملة الاسمية من جهة ومن جهة أخرى تناول البحث لسورة نوح، مع ما انتهجته الدراسة من طريقة الوصف والتحليل لتركيب الجملة الاسمية في السورة الكريمة.

يتناول البحث الجمل الاسمية الواردة في السورة الكريمة سواء الجمل الكبيرة الواسعة التي تتضمن جملاً أصغر منها أو الجمل الاسمية الصغيرة التي تأتي جزءاً ضمن جمل فعلية أكبر منها، ثم يأتي الحديث عن السمات التي تميزت بها الجمل الاسمية في السورة الكريمة سواء من جهة السمات اللفظية أو السمات المعنوية، ثم الخاتمة التي تحوي النتائج التي وصل إليها البحث بعد الدراسة الوصفية والتحليلية لجمل السورة الكريمة.

أولاً: الجمل الاسمية في سورة نوح

نعرض للجمل الاسمية الواردة في السورة الكريمة لبيان سماتها وفق ما جاء عن علماء التفسير وما يتفق مع قواعد اللغة وما جاء به علماء اللغة المتقدمون منهم والمتأخرون.

في مطلع السورة الكريمة قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ نوح: الآية ١، والبداية بأن التي تدخل على الأسماء يؤكد بأنها جملة اسمية، و(إن) كما يذكر النحاس أصلها إننا وحذفت النون للتخفيف⁽¹⁾، والجملة الاسمية في الآية الكريمة من سماتها التأكيد على إرسال الله تعالى لنبيه نوحاً عليه السلام لقومه، فالجملة مبدوءة بإن الناسخة وخبرها الجملة الفعلية "أرسلنا نوحاً"، وفي الجملة ورد الجار والمجرور "إلى قومه" في بيان جهة الإرسال.

يقول صاحب التحرير والتنوير: "اِفْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِالتَّوَكُّيدِ لِلإِهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ إِذْ لَيْسَ الْمَقَامُ لِرَدِّ انْكَارٍ مُنْكَرٍ، وَلَا دَفْعِ شَكٍّ عَنْ مُتَرَدِّدٍ فِي هَذَا الْكَلَامِ. وَكَثِيرًا مَا يَفْتَتِحُ بُلْغَاءُ الْعَرَبِ أَوَّلَ الْكَلَامِ بِحَرْفِ التَّوَكُّيدِ لِهَذَا الْغَرَضِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا (إِنَّ) دَاخِلَةً عَلَى ضَمِيرِ الشَّأْنِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل: الآية ٣٠ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ الْآيَةَ".⁽²⁾

إن الجملة الاسمية في بداية السورة بتركيبها المكون من إن الناسخة وما تبعها من الضمير الدال على المرسل -وهو الله تعالى-، والخبر المتمثل في الجملة الفعلية وجهة الإرسال "إلى قومه"، تتخذ شكلاً من أشكال الجملة الاسمية إن واسمها وخبرها، والتي تأتي لغاية التأكيد على خبر معروف، و(إن) أداة تحدث معنى "التوكيد النسبة بين طرفي الإسناد في الجملة الاسمية"⁽³⁾ ثم يأتي سرد تفاصيله في ذات الآية: " أن أنذر قومك"، وقد اتخذت حجماً قصيراً من أشكال الجمل مناسبة مع الغاية المعنوية منها.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ نوح: الآية 2، وفي الآية الكريمة تأتي الجملة الاسمية في مقول القول "إني لكم نذير" جملة اسمية مؤكدة بإن واسمها وخبرها، ومعنى التوكيد هنا بأنه -عليه السلام- نذير مبين من رب العالمين -جل وعلا- حيث جاء "نذير مبين"

(1) إعراب القرآن، النحاس، 1008.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 186/30.

(3) الجملة الاسمية، علي أبو المكارم، 133.

خبران لـ «إن»، و«جملة " قال " مستأنفة، الجار " لكم " متعلق بـ " نذير "(4)، والجملة جاءت في سياق أمر الله تعالى لنوح عليه السلام " أن أنذر قومك " ليلبغهم رسول الله بأنه نذير من الله لهم، "أَيُّ مُخَوِّفٍ (مُبِينٍ) أَيُّ مُظْهِرٍ لَكُمْ بِلِسَانِكُمُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ"(5).

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ نوح : الآية 4، إن الجملة الاسمية في الآية الكريمة تأتي في وسط الآية الرابعة من سورة نوح، وقد تقدمت الجملة الفعلية في صدر الآية الكريمة "يعفو لكم من ذنوبكم، ويؤخركم إلى أجل مسمى" ثم جاءت الجملة الاسمية لتؤكد معنى مهماً له ارتباط بما سبق "إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون"

يقول البغوي: " ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَيُّ: يُعَافِيكُمْ إِلَى مُنْتَهَى آجَالِكُمْ فَلَا يُعَاقِبُكُمْ ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ: آمِنُوا قَبْلَ الْمَوْتِ تَسَلَّمُوا [مِنَ الْعَذَابِ] لِإِنَّ أَجَلَ الْمَوْتِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ وَلَا يُمَكِّنُكُمُ الْإِيمَانُ"(6).

إن الأجل في قوله ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ مختلف عن الأجل في قوله ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ويناسب ذلك قوله بعد ذلك ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وهو ما يقتضي أنهم لا يعلمون هذه الحقيقة التي تتعلق بأجال الأمم، وأما عدم تأخير آجال الأعمار عند حلول أجلها فهو من المعلوم للناس ومن المشهور في كلام الأولين(7)

جاءت الجملة الاسمية بعد قول سيدنا نوح عليه السلام: "قال رب إنني دعوت قومي ليلاً ونهاراً" مؤكدة بأن الناسخة واسمها ضمير المتكلم الياء وخبرها الجملة الفعلية التالية لها، ثم عطف على الآية الكريمة بجملة اسمية "وإنني كلما دعوتهم لتغفر لهم" وفيها التوكيد بأن وخبرها (جعلوا أصابعهم) "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ اشْتَكَى إِلَى رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَا

(4) المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد الخراط، 1369

(5) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 259/18.

(6) تفسير البغوي، 156/5.

(7) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 191/29.

بَيْنَ لِقَوْمِهِ وَوَضَّحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الرُّشْدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أَي: لَمْ أَتْرُكْ دُعَاءَهُمْ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، امْتِنَالًا لِأَمْرِكَ وَابْتِغَاءً لِبَطَاعَتِكَ⁽⁸⁾

وعطف أيضًا بالجملة الاسمية "ثم إني دعوتهم جهارًا" مؤكدًا بأن واسمها وخبرها ليزيد بيان ما قام به من دعوة هؤلاء القوم بتغيير الأسلوب بالجهر دون الخفاء.

يتكرر معنى التأكيد في الآية الكريمة بدعوة نبي الله نوح عليه السلام جهارًا، يقول الطبري: "﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه ﴿جَهَارًا﴾ ظاهرًا في غير خفاء"⁽⁹⁾

بدأت الآية الكريمة بحرف العطف (ثم) على الآية التي سبقتها وأداة التوكيد (إن) الناسخة التي تفيد معنى التأكيد على دعوتهم جهارًا في غير خفاء، وتتكون الجملة الاسمية في الآية الكريمة من (إن) واسمها الواقع في ضمير ياء المتكلم والخبر المتمثل في الجملة الفعلية بعدها، وذكر الصافي أن جملة: (إني دعوتهم) تعرب في محل نصب وهي معطوفة على جملة مقول القول وأما جملة: (دعوتهم) فتكون في محل رفع خبر إن (الثالث)⁽¹⁰⁾

يعطف كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ نوح: الآية 9 "ثم إني أعلنت لهم وأسهرت لهم إسرارًا" على ما سبق بحرف العطف (ثم) يتلوها التأكيد ب (إن) واسمها الواقع في ياء المتكلم وخبرها الجملة الفعلية.

"أَي لَمْ أَبْقِ مَجْهُودًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَى أَعْلَنْتُ: صَحْتُ، وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا. بِالْدُّعَاءِ عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. وَقِيلَ: أَسْرَرْتُ لَهُمْ أَنْتَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ. وَكُلُّ هَذَا مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبَالِغَةً فِي الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَتَلَطُّفٌ فِي الْإِسْتِدْعَاءِ"⁽¹¹⁾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ نوح: الآية 10 "إنه كان غفارًا" جاءت في صورة الجملة الاسمية المؤكدة بأن والضمير الهاء اسمها وخبرها الجملة الفعلية المكونة من كان واسمها وخبرها. وقعت الجملة هنا ضمن الجملة الفعلية الأكبر منها "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا"

⁽⁸⁾ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 4/453

⁽⁹⁾ تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 23/632.

⁽¹⁰⁾ الجدول في إعراب القرآن، محمود الصافي، 29/97.

⁽¹¹⁾ تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 18/260.

أَيَّ "أَمِنُوا إِيمَانًا يَكُونُ اسْتِغْفَارًا لِدُنُوبِكُمْ فَإِنَّكُمْ إِن فَعَلْتُمْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَعَلَّ ذَلِكَ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِالْغُفْرَانِ صِفَةً ثَابِتَةً تَعَهَّدَ اللَّهُ بِهَا لِعِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، فَأَفَادَ التَّغْلِيلَ بِحَرْفِ (إِنَّ) وَأَفَادَ ثُبُوتَ الصِّفَةِ لِلَّهِ بِذِكْرِ فِعْلِ (كَانَ) . وَأَفَادَ كَمَالَ غُفْرَانِهِ بِصِیْغَةِ الْمُبَالَغَةِ بِقَوْلِهِ غَفَّارًا"⁽¹²⁾

والجملة الاسمية في صورتها البسيطة والقصيرة مكونة من إن واسمها وخبرها تفيد معنى التوكيد بأن الله غفار للذنوب بعد أمر نبي الله لهم بالاستغفار، وهي جملة قصيرة يتم معنى الجملة الفعلية قبلها لتفيد معنى التوكيد بمغفرة الله بصيغة المبالغة في ذلك؛ وذلك بعد طلب الاستغفار منهم، وهو حث لهم وترغيب لهذه الفضيلة العظيمة.

ثم تتوالى الجمل الفعلية حتى قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ نوح : الآية 13 "ما لكم لا ترجون لله وقاراً" وفيها البدء باسم الاستفهام وخبره "وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ صُورَتُهُ صُورَةُ السُّؤَالِ عَنْ أَمْرِ ثَبَّتَ لَهُمْ فِي حَالِ انْتِفَاءِ رَجَائِهِمْ تَوْقِيرَ اللَّهِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ يَثْبُتُ لَهُمْ صَارِفٌ عَنْ تَوْقِيرِ اللَّهِ فَلَا عُدْرَ لَكُمْ فِي عَدَمِ تَوْقِيرِهِ"⁽¹³⁾.

والآية الكريمة تبدأ باسم الاستفهام وهو المبتدأ وخبره "لكم" الجار والمجرور ثم تأتي "لا" النافية وبعدها الجملة الفعلية لبيان الحال الذي كانوا عليه من أنهم لا يخافون الله تعظيماً له سبحانه، وهذه الجملة الاسمية الاستفهامية جاءت إنكاراً على المشركين بعد عِدِّ نَعَمِ اللَّهِ المتوالية عليهم. يأتي بعد ذلك قول الله تعالى: " ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح: الآية 17؛ فالله جل جلاله أنبتكم أيها الناس من الأرض نباتاً وقد بدأ بالواو العاطفة ثم الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر، وعند الطبري: أن الله سبحانه أنشأ الخلق من تراب هذه الأرض، ليخلق البشر منه إنشاءً"⁽¹⁴⁾.

إن الآية الكريمة جاءت في صورة الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ "الله" جل وعلا ثم الخبر المتمثل في الجملة الفعلية "أنبتكم"، بعد واو العطف التي تعطف على ما ذكره المولى -سبحانه- قبل ذلك "ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً"، والجملة الاسمية في الآية الكريمة توضح

(12) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 197/29.

(13) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 199/29.

(14) تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، 637/23.

معنى إنبات الله وإنشاء البشر من الأرض بتقديم لفظ الجلالة على الجملة الفعلية لتكون الجملة اسمية خلافا لما للمعطوف عليهما من الآيتين السابقتين لها حيث جاء فيهما بترتيب الجملة الفعلية؛ والتعبير بالجملة الاسمية هنا وتقديم لفظ الجلالة في مستهل الجملة يلفت الأسماع إلى أنه -سبحانه- أنبت آدم -عليه السلام- من الأرض في استعارة بليغة "و﴿نَبَاتًا﴾"، مَحْمُولٌ فِي الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَى "أَنْبَتَكُمْ": جَعَلَكُمْ تَنْبُتُونَ نَبَاتًا، وَالْمَصْدَرُ عَلَى لَفْظِ "أَنْبَتَكُمْ" إِنْبَاتًا، وَنَبَاتًا، أُبْلِغُ فِي الْمَعْنَى" (15)

ثم يعطف بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ نوح: الآية 19؛ يقول البقاعي في ربط الآية الكريمة بما سبقها: "وَلَمَّا كَانَ النَّابِتُ مِنَ الشَّيْءِ لَا يَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ، دَلَّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ بِخَرَقِ تِلْكَ الْعَادَةِ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مُظْهِرًا لِلِاسْمِ الشَّرِيفِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى تَعْظِيمًا لِلْأَدِلَّةِ لِئَلَّا تُقَيَّدَ الْقُدْرَةُ بِمَا يَقْتَرِنُ بِهِ الْإِسْمُ دَالًّا بِالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بَعْدَ الْإِرْشَادِ بِالْعُلَوِيِّ وَآخِرِ السُّفْلِيِّ لِأَنَّ آيَاتِهِ عَلَى ظُهُورِهَا خَفِيَتْ بِكَثْرَةِ الْإِلْفِ لَهَا" (16)، والآية بدأها المولى الكريم بلفظ الجلال وهو المبتدأ ثم الجملة الفعلية التي جاءت خبرا له، والجملة الاسمية في الآية توضح أن الأرض مبسوطة يتقلب عليه البشر كما يتقلبون على بسطهم (17) ليستقر عليها البشر ويسلكوا منها الفجاج المختلفة.

من الجمل الاسمية في السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ نوح: الآية 21 وقد جاءت جملة ضمن الجملة الفعلية الأكبر وفي مقول القول "قال نوح رب إنهم عصوني"، "شَكَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُمْ عَصَوْهُ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ" (18)

وقد جاءت الجملة الاسمية بعد جملة النداء (رب) منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، فجملة إن واسمها وخبرها (عصوني) وهي مقول القول (19)، وهذه الجملة الاسمية جاءت في

(15) معاني القرآن، الزجاج، 5/179.

(16) نظم الدرر، البقاعي، 20/445.

(17) تفسير الكشاف، الزمخشري، 4/615.

(18) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 18/264.

(19) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، 10/233.

شكوى نوح - عليه السلام - لرب العالمين من عصيان قومه لدعوته له واتباعهم من لم يزد ماله وولده إلا خساراً.

ثم تمضي الآيات الكريمة في ذكر أحداث قصة نوح - عليه السلام - مع قومه حتى تأتي جمل متوالية في قوله تعالى: "رب لا تذر" ثم قوله سبحانه: "إنك إن تذرهم" ثم يختم بالدعاء في قوله جل وعلا: "رب اغفر لي".

لقد جاء تركيب الجملة الاسمية في الآية الكريمة بإن الناسخة واسمها وخبرها "إنك إن تذرهم"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح: الآية 27 "هَذَا عَلَى مَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ" ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ مِنْهُمْ دَعَا عَلَيْهِمْ⁽²⁰⁾

ثم تختتم السورة الكريمة بدعاء نوح - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ نوح: الآية 28 يقول السمرقندي: "سفینتی و دینی. وقال الكلبي: وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا يعني: مسجدي. وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا يعني: لا تزد الكافرين إلا هلاكاً"⁽²¹⁾

إن الآيات الثلاث المتوالية تضمنت دعاء نوح - عليه السلام - لرب العالمين في موضعين الأول: في الدعاء على قومه الذين صدوا عن دعوة الحق، والثاني: في الدعاء بالمغفرة له ومن تبعه وعموم المسلمين والمسلمات، وجاءت الجملة الاسمية بعد الموضع الأول بصيغة إن واسمها وخبرها لبيان سبب دعائه عليهم وخشيته من إضلالهم فقد "خَشِيَ أَنْ يُضِلُّوا بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ يَلِدُوا أَبْنَاءً يَنْشَأُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ"⁽²²⁾

(20) تفسير السمعاني، أبو المظفر السمعاني، 60/6.

(21) تفسير بحر العلوم، السمرقندي، 408/3.

(22) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، 214/29.

ثانيًا: سمات الجمل الاسمية في السورة الكريمة

وردت سمات الجملة الاسمية في سورة نوح على ضربين: سمات لفظية كالطول والقصر وأخرى معنوية كدلالات التقديم والتأخير، مع ما تتميز به الجملة الاسمية من دلالة الثبات والاستقرار على ما مر معنا في تحليل الآيات الكريمة.

وردت الجمل الاسمية في السورة الكريمة في ثلاثة عشر موضعًا، ومن سمات الجمل الاسمية الواردة في آيات السورة الكريمة ما يكون من جهة المعنى ومنها ما يكون من جهة الألفاظ

1-السمات المعنوية للجمل الاسمية

-مما تفيده الجملة الاسمية الثبوت والاستمرار "اشتهر عند أهل البيان أن الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على التجدد والحدوث"⁽²³⁾، وقد نرى في آيات السورة الكريمة أن المعاني الثابتة جاءت بشكل أوضح مع الجمل الاسمية، وهي المعاني التي جاءت حقائق ثابتة من عند الله تعالى، فمن إرسال الله -تعالى- لنوح -عليه السلام-، والإيمان التام بأن أجل الله -جل جلاله- إذا جاء لا يؤخر، وأن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي أنبت البشر وجعل لهم الأرض بساطًا، وكل ذلك من المعاني الثابتة والمستقرة عند كل مسلم.

-جاءت بعض الجمل الاسمية في السورة الكريمة مفيدة معنى التوكيد ب(إن) واسمها وخبرها ويأتي الاسم فيها ضميرًا كقوله تعالى: "إنا أرسلنا" ويأتي اسمًا ظاهر كقوله تعالى: "إن أجل الله"؛ كما أن الخبر في جمل التوكيد هذه يأتي جملة فعلية "إنا أرسلنا" ويأتي ضميرًا "ثم إنني دعوتهم جهارًا" ويأتي اسمًا ظاهرًا "إنني لكم نذير مبين". وهذا التنوع في أشكال الجملة الفعلية يخدم المعنى من جهة التأكيد على دعوته لهم واستيفاء جهده معهم، فاستخدامه الظاهر للضمائر يأتي للاختصار ومعرفة المستمع للمقصود من كلامه، واستخدامه للجملة الفعلية في التعبير عن الخبر تفيد معنى الحركة واستفراغ الوسع في دعوة القوم.

(23) الكليات، أبو البقاء الكفوي، 1014

-جاءت في السورة الكريمة جمل اسمية ابتدأت بلفظ الجلالة "الله" تسبقه واو العطف، وهذه الجمل جاءت بعد سياق جمل فعلية "ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات..." ثم يأتي قوله تعالى: "والله أنبتكم" في ابتداء بالاسم وتركيز عليه؛ وأنه سبحانه المنفضل على عباده بالإنبات والخلق، إن هذه الجمل من الجمل الاسمية التي من معانيها الثبات؛ فمن المعاني الراسخة التي يثبتها الله -تعالى- على لسان رسوله عليه السلام قضية خلق الله للبشر جميعاً من طين، وبسطه سبحانه لهذه الأرض.

-تأتي بعض الجمل الاسمية في السورة الكريمة على صورة الاستفهام وذلك في قوله تعالى: "ما لكم لا ترجو لله وقاراً"، وهذا الاستفهام خرج إلى معنى الإنكار عليهم أي "ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله تعالى وللقائه"⁽²⁴⁾.

-من سمات معنى التوكيد ما ورد من استعمال أساليب التوكيد الأخرى في تأكيد معاني السورة الكريمة إضافة إلى التوكيد بأن من ذلك "قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً" وفيه التأكيد بعد إن بلفظ الليل والنهار على دعوتهم في كل وقت وحين، وقوله تعالى: "وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم" والواو هنا أيضاً أضافت إلى معنى التوكيد توكيداً آخر بأنه ينصح مرة بعد مرة دون إجابة من قومه.

2- السمات اللفظية للجمل الاسمية

-جاءت ألفاظ الجمل الاسمية في السورة الكريمة في أكثرها مؤكدة بلفظ التوكيد (إن) وفي بعضها مبدوءة بلفظ الجلالة (الله)، وتوالي التوكيد مرة بعد مرة في السورة الكريمة من السمات التي تظهر بوضوح في السورة الكريمة؛ وهو توكيد يثبت بلوغ رسالة الله لهم من جهة والجهد الذي قام به نوح -عليه السلام- استجابة لأمر الله -تعالى-.

-من الجمل الاسمية ما يأتي في السورة جملة مستقلة عن غيرها مثل قول الله تعالى: "إنا أرسلنا نوحاً" ومنها ما يأتي جزءاً من تكوين جملة فعلية مثل قول الله تعالى: "قال رب إنهم عصوني".

(24) المحرر الوجيز، ابن عطية، 374/5.

-من الجمل الاسمية ما تقدم فيها الفاعل ليصبح المبتدأ "والله أنبتكم" "والله جعل لكم الأرض بساطاً" في تركيز على المتفضل بالإنعام والمستحق وحده للعبادة دون سواه وقد أوردنا كلام البقاعي وأنه سبحانه أظهر الاسم الشريف مرةً بعد أخرى تعظيماً لآياته - سبحانه - خفيت على كثير مع كثرة الإلف⁽²⁵⁾.

-جميع الجمل الاسمية في السورة الكريمة وردت على لسان نوح -عليه السلام- فيما يناجي فيه الله -سبحانه- "قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً" أو يدعو فيها قومه "قال يا قوم إني لكم نذير مبين"، سوى ما ورد من كلام الله -تعالى- كما في مفتتح السورة "إنا أرسلنا نوحاً".

-من الجمل الاسمية في السورة الكريمة ما كان مسبوفاً بحرف العطف (الواو أو ثم) كما قوله تعالى: "وإني كلما دعوتهم" وقوله: "ثم إني دعوتهم"

(25) نظم الدرر، البقاعي، 445/20.

الخاتمة

إن سورة نوح -عليه السلام- من السور العظيمة التي يتعلم منها المؤمن دروس الصبر والبذل والعمل لأجل دين الله -تعالى، تناولت السورة قصة نبي من أنبياء الله تعالى في دعوته لقومه وبذله كل ما في وسعه لأجل هدايتهم، وقد كانت التراكيب التي جاءت بها السورة الكريمة موضوعاً جديراً بالدراسة لاستخلاص السمات التي تميزت بها تلك التراكيب.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج وهي:

- من سمات السورة الكريمة الآيات القصيرة التي تحمل معنى موجزاً تاماً في بعضها كما قوله تعالى: "إنا أرسلنا نوحاً" وخاتمة السورة "رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمناً" وغالب الآيات ارتبطت بحروف العطف الواو وثم أو المعنى المترابط.
- من سماتها اللغوية كثرة حروف العطف؛ حيث تبدأ الآيات بحروف العطف في خمسة عشر موضعاً منها: عشرة مواضع للواو وموضعان للفاء وثلاثة مواضع لثم، من مجمل آيات السورة وعددها ثمان وعشرون آية، وهذا يعني التسلسل المعنوي لأحداث السورة وارتباط الآيات ببعضها ارتباطاً يأخذ المعنى حسب حرف العطف.
- من السمات الظاهرة في السورة عدد الجمل الاسمية في السورة أقل من عدد الجمل الفعلية في السورة الكريمة وكثرة الجمل الفعلية مقارنة بالجمل الاسمية يتناسب مع معاني السورة التي تحكي قصة نبي الله نوح عليه السلام في أحداث نابضة بين الإيمان والكفر.
- جاء معنى التوكيد ظاهراً واضحاً في الجمل الاسمية التي جاءت في السورة الكريمة.
- التوكيد جاء في صورة إن واسمها وخبرها وقد كان ذلك في آيات كثيرة تعكس الجمل الاسمية.
- من معاني الجمل الاسمية عند النحاة معنى الثبوت وهو معنى تعكسه الجمل الاسمية الواردة في سورة نوح.
- تضمنت بعض الجمل الفعلية جملاً اسمية لتكون جزءاً منها.
- جاء عدد الجمل الاسمية المبدوءة بالمبتدأ قليل مقارنة بالجمل المبدوءة بإن واسمها وخبرها.

- مناسبة الجمل الاسمية الواردة في السورة مع موضوعها المتعلق بدعوة نوح -عليه السلام لقومه واستقراغه الوسع في ذلك، والحرص على بيان التوحيد الخالص وأنه لا ينبغي أن تصرف العبادة إلا لله وحده فهو الخالق والرازق سبحانه، مع استمرار استعماله لأداة التوكيد (إن) في أكثر من موضع.

والسورة الكريمة كسائر القرآن الكريم من مجالات الدراسة اللغوية النوعية، التي ينبغي أن يلتفت الباحثون إليها وأن تعمل أدوات البحث لديهم على دراسة لغة الكتاب العزيز، كما أن دراسة التراكيب اللغوية واستخلاص سماتها من الدراسات اللغوية المفيدة في الدرس اللغوي خاصة مع نموذج فريد كلغة القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

القرآن الكريم

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (2008م) إعراب القرآن، ط2، تحقيق: زهير زاهد، بيروت: عالم الكتب.

أبو المكارم، علي (2007م) الجملة الاسمية، ط1، القاهرة: مؤسسة المختار.
الخراط، أحمد (1426هـ) المجتبى من مشكل إعراب القرآن، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1420هـ)، ط1، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الصافي، محمود (1418هـ) الجدول في إعراب القرآن، ط4، دمشق: دار الرشيد.
الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم (2003م) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبدالجليل شلبي، القاهرة: دار الحديث.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (1407هـ) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.

درويش، محيي الدين (1415هـ) إعراب القرآن وبيانه، ط4، دمشق: دار ابن كثير.
السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد (1997م) تفسير السمعاني، ط1، تحقيق: ياسر بن غنيم، الرياض: دار الوطن.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (1998م) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1984م)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية.
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (1422هـ) تفسير المحرر الوجيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (1417هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: يوسف المرعشلي، بيروت: دار المعرفة.

البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

حسن، عباس حسن، النحو الوافي، ط15، القاهرة: دار المعارف.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (2006م) تفسير بحر العلوم، ط1، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (1420هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، ط1، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (1418هـ)، الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، ط1، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الرياض: مكتبة الرشد.

